

الحوثيون يرسّخون سلطتهم في اليمن على أنقاض البنية القبلية المتداعية

دخول القبائل في لعبة السلطة ومغرياتها سهّل اختراقها وأفقدتها أدوارها التقليدية

السهولة النسبية التي وجدها الحوثيون في غزوهم واستيلائهم على مناطق اليمن والسلطنة التي يديرون بها تلك المناطق إلى اليوم في ظل حالة من استسلام سكانها لأوامر الجماعة وتعاليمها الغربية على الكثيرين منهم، يُفسّران جزئياً بحالة الفراغ التي خلفها تراجع دور القبيلة في تلك المناطق وانغماس الشيوخ والوجهاء القبليين في لعبة السلطة ومغرياتها.

صنعاء - يُرجع الكثير من المطلعين على الشأن اليمني جزءاً هاماً من أسباب تمكن جماعة الحوثي من بسط سيطرتها في وقت وجيز على مناطق شاسعة من الأراضي اليمنية وإخضاع سكانها لسلطتها، إلى ما لحق بالبنية القبلية من ضرر جعلها أقرب إلى التفكك وأفق قبائل كبيرة طالما كانت فاعلة في الشأن السياسي والأمني في البلاد قدرتها على الصمود والمناعة.

ويقول هؤلاء إنّ الحوثيين استكملوا ما كان قد بدأ في فترة حكم الرئيس اليمني السابق علي عبدالله صالح من استقطاب للقبائل نحو الانغماس في الانتماءات السياسية والحزبية وانخراط شيوخها والأعضاء البارزين فيها في لعبة السلطة وما تنطوي عليه من مصالح سياسية واقتصادية وما تتيجحه لبعضهم من وجهة نظر وسلطة يجعلان طموحاتهم تتجاوز حدود القبيلة وسلطتها الاعترافية التقليدية.

ويشير إلى دور علي عبدالله صالح في تكريس هذه الظاهرة بـ"طريقته الخاصة في التعاطي مع القبائل، فبدل الصدام المباشر لجأ إلى ربطها بمصالح تجارية وما شابه ذلك، وحتى إلى إفسادها، وكان يعرف تماماً مدى قابلية القبائل لدخول لعبة الفساد". ويرصد خير الله بروز "يمن جديد" يبحث عن صبغة جديدة، من أبرز ما في هذا اليمن الجديد انفرط التركيبة القبلية للمجتمع بحسنتها وسبائتها، مضيفاً "كان الشيخ القبلي الحكم بين الناس، ولم يعد في اليمن من يمارس دور الحكم، لا وجود سوى للفراغ، وهو فراغ على كل المستويات يشغله الحوثيون في الشمال والإخوان المسلمون في أماكن أخرى".

ويصف الباحث اليمني عادل دشيلية ما أصاب النسيج الاجتماعي القبلي في شمال اليمن بالتمزق، ويقول في بحث له منشور في موقع معهد واشنطن لسياسة الشرق الأدنى تحت عنوان "الامتثال القسري: الحوثيون وقبائل شمال اليمن"، إن قيادة الحوثيين بذلت جهوداً كبيرة للسيطرة على القبائل والتلاعب بطايرها التقليدية بغية فرض السيطرة عليها. ونتيجة لذلك هناك مجموعات من القبائل الشمالية في اليمن التي تقاتل حالياً في ضمن صفوف الحوثيين.

ويعد مسار طويل من التلاعب السياسي بالقبائل أصبحت حركة الحوثي تسيطر على قيادات العديد منها مثل قبائل سفیان وحاشد وبكيل وخولان وريمة. وفي مظهر على النجاح الكبير في اختراق القبائل شكل الحوثيون قيادات قبلية جديدة وأصبحوا بفعل ذلك متحكمين بالشهد القبلي.

ولضمان استدامة استفادتهم من القبائل وتوظيف مقدراتها لمصلحتهم شرعوا في خلخلة المنظومة القبلية



هم وأمالم وأبنائهم للحوثيين



وجهاء القبائل أقرتهم السلطة بوجهها وأحرقتهم بنارها

الشيخ، ومهددة إياها بالانتقام الأمر الذي استدعى تدخل قيادات سياسية وأمنية كبيرة تنتمي إلى تلك القبائل لنزع فتيل التوتر القبلي.

صدام مؤجل

تظهر إحصائية نشرتها وسائل إعلام يمنية في وقت سابق تصفية ميليشيا الحوثي خلال عامين لأربعة وعشرين شيخاً قديماً من الموالين لها وقام بعضهم بأدوار هامة ومباشرة في مساعدة الجماعة على الاستيلاء على مناطق بشمال اليمن ودخول العاصمة صنعاء.

ويقوم ذلك الرقم شاهداً على عدم استقرار العلاقة بين الحوثيين وقبائل شمال اليمن وعدم بلوغها مرتبة الثقة الكاملة والحدود الاستراتيجية إذ نزل القبائل الواقعة ضمن مناطق سيطرة الجماعة وقفا لتصنيف الباحث دشيلية إلى ثلاثة أقسام: أحدها عقائدي يدين بالولاء للفكر الحوثي وقدم في سبيل ذلك تضحيات جسدية خلال المارك الحوثية المختلفة، وقسم ثانٍ مضطر إلى إرسال أبنائه للقتال في صفوف الحوثيين من أجل الحصول على بعض المكاسب من مال وسلاح وإمدادات غذائية وغيرها، وأيضاً لاتقاء اعتداءات الجماعة وتهديدها بالخطف ومصادرة الممتلكات لمن يرفض الانصياع لأوامرها.

أما القسم الثالث فهو براغماتي يشكل فئة كبيرة من تلك القبائل ويمكن أن ينقلب على الحوثيين في أي لحظة ولا ينتظر سوى الفرصة المناسبة للتمرد عليهم.

ويبدو أن إرهاصات لحظة الصدام المؤجل لاحت أخيراً عندما تسرب خبر مفاده أن حكومة الحوثيين تعزم مصادرة أراض في المناطق القبلية القريبة من العاصمة بحجة أنها مناطق جبلية وتعود ملكيتها إلى الدولة، وهو ما رفضته قبائل طوق صنعاء مؤكدة في بيان أنّ تلك الأراضي ملك لها ولا يحق لأي طرف الاستيلاء عليها تحت أي ذريعة، كما تناقلت وسائل التواصل الاجتماعي وعيد أبناء تلك القبائل وبعض مشائخها بالتمرد على الحوثيين في حال طبقوا قرارهم محذرين من ثورة شعبية في مناطق الطوق ومهددين باستدعاء أبناء قبائلهم المتواجدين في جبهات القتال إلى جانب الحوثيين بالعودة والكف عن خوض الحرب تحت راية الجماعة في مارب والبيضاء والجوف وغيرها من الجبهات المشتعلة في اليمن.

ولإضعاف الدور السياسي للقبائل لجأ الحوثيون إلى عدة أساليب من بينها تنصيب شيوخ قبائل خارج اللوائح وتنظيم مشرفين من أبناء الطبقة الهاشمية تفرض تنصيب شيخ القبيلة بالإجماع كما كان يحصل في حاشد وبكيل وباقي القبائل اليمنية، ثم قاموا بعد استيلائهم على صنعاء بمنح امتيازات اقتصادية للمشايع الجدد الذين نصّبهم على القبائل في المديرية والقرى ومنحوا لهؤلاء الشيوخ قرار ممارسة القمع ضد كل من يعارض فكر الحوثي حيث يقومون بسجنه أو أخذه رهينة وفي بعض الأحيان تصفيته جسدياً إذا رفض توجيهات قادة الحركة كما حصل مع وجهاء قبليين من محافظة عمران.

ويصف الباحث اليمني عادل دشيلية ما أصاب النسيج الاجتماعي القبلي في شمال اليمن بالتمزق، ويقول في بحث له منشور في موقع معهد واشنطن لسياسة الشرق الأدنى تحت عنوان "الامتثال القسري: الحوثيون وقبائل شمال اليمن"، إن قيادة الحوثيين بذلت جهوداً كبيرة للسيطرة على القبائل والتلاعب بطايرها التقليدية بغية فرض السيطرة عليها. ونتيجة لذلك هناك مجموعات من القبائل الشمالية في اليمن التي تقاتل حالياً في ضمن صفوف الحوثيين.

ويعد مسار طويل من التلاعب السياسي بالقبائل أصبحت حركة الحوثي تسيطر على قيادات العديد منها مثل قبائل سفیان وحاشد وبكيل وخولان وريمة. وفي مظهر على النجاح الكبير في اختراق القبائل شكل الحوثيون قيادات قبلية جديدة وأصبحوا بفعل ذلك متحكمين بالشهد القبلي.

ولضمان استدامة استفادتهم من القبائل وتوظيف مقدراتها لمصلحتهم شرعوا في خلخلة المنظومة القبلية

علي عبدالله صالح أورث الحوثيين جزءاً من القوات المسلحة والولاءات القبلية التي كان قد تمكن من تشكيلها خلال فترة حكمه الطويلة

